

أحلام الهجرة تنتهي بالأفارقة جثثا مرقمة في مقابر تونسية

عمل دؤوب للتعرف على هويات غرقى لقوا مصرعهم في المتوسط



تتعلق هم المهاجرين الأفارقة بحياة أفضل وراء البحر المتوسط، لكن هذا الحلم صار بعيد المنال، وغالبا ما ينتهي أصحابه من الأفارقة غرقا في قاع البحر الذي يلفظهم جثثا على الشواطئ التونسية. وتقوم السلطات في تونس بتكوين ملفات تضم صوراً وبطاقات توصيف ومعطيات طبية للتعرف عليهم إذا ما بحث عنهم أهلهم وذوهم.

صفاقس (تونس) - كادت تندثر كغيرها من جثث الآلاف من المهاجرين الذين لقوا حتفهم في حوادث غرق في عرض البحر الأبيض المتوسط.. لكن ما إن تم انتشالها حتى بدأت السلطات التونسية جمع كل ما أمكن من معطيات تتعلق بها وتسمح بمعرفة هوياتها يوما ما.

قال الطبيب الشرعي سمير معنوق، "يجب أن نسجل ونحفظ كل الآثار" من وشم وعلامات تجارية لأحذية وبصمات أصابع ومقاس القميص، وكذلك الحمض النووي.

صفاقس (تونس) - كادت تندثر كغيرها من جثث الآلاف من المهاجرين الذين لقوا حتفهم في حوادث غرق في عرض البحر الأبيض المتوسط.. لكن ما إن تم انتشالها حتى بدأت السلطات التونسية جمع كل ما أمكن من معطيات تتعلق بها وتسمح بمعرفة هوياتها يوما ما.

قال الطبيب الشرعي سمير معنوق، "يجب أن نسجل ونحفظ كل الآثار" من وشم وعلامات تجارية لأحذية وبصمات أصابع ومقاس القميص، وكذلك الحمض النووي.

السلطات التونسية تعد ملفات لجثامين الغرقى في البحر المتوسط على أمل أن يأتي أحد ما ليسأل عنها وعن مصيرها

وتعد إيطاليا التي بدأت منذ 2014 أخذ عينات من الحمض النووي للجثث منذ حادثتي غرق قبالة سواحلها خلفتا المئات من القتلى، البلد الرائد في هذا المجال بعد إحدائها لجنة حكومية خاصة بالمفقودين وتهتم بجمع المعطيات. وقد سمح ذلك بالتعرف على هويات أربعين جثة، حسب الطبيب الشرعي كريستينا كاتانيو التي تنسق هذه العمليات في بلدنا.

وتؤكد الطبيبة أنه لم يتم معالجة الإجراءات المعتمدة في ذلك داعية المؤسسات الأوروبية إلى "تولي الأمر". وتكشف إحصائيات الأمم المتحدة أنه منذ 2014 قضى أكثر من عشرين ألف مهاجر نجدهم في عرض المتوسط، من بينهم أن أكثر من 16 ألفا في أخطر منطقة تقع بين إيطاليا ومالطا وليبيا وتونس. وتم انتشال جثث أكثر من ثلث هؤلاء.

وتقوم ليبيا التي تشهد فوضى بسبب الحرب الدائرة منذ سنوات وتمثل نقطة

ويكلف الطبيب وفريق عمله على فحص جثث العشرات من الغرقى لتكوين ملفات عنهم تضم صوراً وبطاقات توصيف ومعطيات طبية. وهو عمل شاق من أجل تحديد كل ما يسمح بإعطاء اسم لـ 29 امرأة وثلاثين رجلا وطفلين جميعهم من دول أفريقيا جنوب الصحراء، وقضوا في غرق مركبهم مطلع يونيو الماضي في سواحل مدينة صفاقس (وسط شرق تونس).

وتعرفت السلطات المحلية بسرعة على هوية ربان المركب وهو تونسي، لكن في ما يتعلق بجثامين الركاب، لم يتم التعرف سوى على عدد قليل منها من خلال شهادات جمعت من مواطنين من أفريقيا جنوب الصحراء مستقرين في تونس، بينما ظلت هويات الجثث الأخرى مجهولة. ودفنت السلطات

تحليل الطب الشرعي لإثبات الهوية

الأحمر في بلدانهم لطلب معلومات، لتقوم اللجنة الدولية للصليب الأحمر بعد ذلك بالتواصل مع السلطات المعنية، أي القضاء أو إدارة الطب الشرعي في الدول التي من المرجح أن تكون نقطة انطلاق للمفقودين.

وتوضح نائب رئيس البعثة الإقليمية للجنة الدولية للصليب الأحمر في تونس ليبيبا، "أن مونتافسون، أن عدد هذه الطلبات مرتفع قليلا في تونس، لكنه كبير جدا في ليبيا".

وقالت المنظمة إن بعض العائلات القليلة جدا حصلت على تأكيدات لوفاة قريب مفقود، وحتى مكان جثمانه.

في المقابل يؤكد الطبيب معنوق، أنه لم تصل بعد مطالب لإعادة جثامين إلى دولها.

ويضيف "بالرغم من ذلك نواصل اعتماد بروتوكولات المعايير... فقد يأتي ابن أو حفيد يوما ما".

السنوات". وتمكن فريقه من جمع 412 عينة للحمض النووي منذ ثورة 2011 التي شهدت تسارعا في الهجرة السرية على السواحل التونسية.

ويتزايد عدد جثث المهاجرين الأجانب المنتشلة من قبل السلطات التونسية، ما يتطلب تعاوناً وثيقاً للتعرف على هوياتها.

ويؤكد مسؤول في مخابر الشرطة الفنية والعلمية شهير جديم، أن عملية جمع العينات التي يقوم بها المستشفى تكملها معلومات الشرطة الفنية ويتم إرسالها بعد ذلك إلى القضاء.

ويقول منسق الطب الشرعي في اللجنة الدولية للصليب الأحمر في المنطقة بلال سبلوح، إن "مركزية المعلومات وإجراءات تشارك" المعلومات على المستوى الدولي تتطلب المزيد من العمل. وبإمكان العائلات لاحقا، أن تتوجه إلى منظمات الهلال الأحمر أو الصليب

غرقا من قبل الطبيب الشرعي والشرطة الفنية (العلمية) وأن تُرفع عينات من الحمض النووي وبصمات الأصابع.

وحيث تصل الجثث إلى المستشفى تقوم السلطات الصحية بتقييمها الواحدة تلو الأخرى.. هذا الرقم يسجل في ملفها ويرافقها إلى القبر حيث ستدفن.

وينكب عدد من التقنيين في مشرحة مستشفى صفاقس على فحص الجثث المنتشرة هنا وهناك يدونون ما استطاعوا من معطيات وتوصيف لها. وقد فقدت بعضها تفاصيل الوجه المتآكل بينما تبدو أخرى منتفخة ولا تزال بعض طحالب البحر عالقاً في أطرافها.

يقول الطبيب معنوق "يمكن لهذه الآثار أن تساعد عائلات الضحايا على التعرف عليها وأن تقيم لها جنازات"، لكنه أكد أن "تحاليل الحمض النووي تبقى الأكثر موثوقية للتعرف على شخص حتى بعد العشرات من

انطلاق مهمة للمهاجرين، بدفن الجثث من دون أخذ عينات من الحمض النووي، بينما يشكل جمع المعطيات مهمة مضمّنة. وعلى الرغم من أنها لا تملك إمكانيات كبيرة، تمكنت تونس بعد مشاورات منذ 2017 مع اللجنة الدولية للصليب الأحمر من تكييف إجراءاتها لجمع وتحليل المعطيات من الجثث.

ويؤكد رئيس قسم الطب الشرعي في المستشفى الجامعي بصفاقس سمير معنوق، "يجب فحص جثث كل الذين قضاوا



كورونا يعقد مشكلة الهجرة إلى أوروبا

إيطاليا تجري فحوصات طبية للمهاجرين في عرض البحر تمهيدا لاستقبالهم

وقدمت السفينة قبل أسبوع أول طلب للرسو في مرفأ وإزالة الركاب. لكن بعد سبعة طلبات خلال سبعة أيام، لدى السلطات الإيطالية والمالطية، حصلت المنظمة على رد سلبي. وكانت واحدة من عمليات الإنقاذ جرت في المياه بين هذين البلدين.

ومنذ الخميس جرت شجارات على سطح السفينة بين مهاجرين، لكن منذ الجمعة تستهدف تهديدات صادرة عن مجموعة واحدة من المهاجرين، طاقم السفينة.

أكثر من 13 ألف مهاجر من جنسيات أفريقية مختلفة حاولوا عبور البحر المتوسط باتجاه القارة الأوروبية منذ بداية العام الحالي

من جهة أخرى، طلبت أس.أو. أس المتوسط، بعد ظهر الجمعة إجلاء طبييا بسبب "انهيار عصبي حاد" لهذه المجموعة التي تضم 44 شخصا من تونسيين ومغاربة ومصريين.

وقال لودوفيك أحد البحارة المنقذين الذي يشارك في العمليات منذ البداية "لا أشعر أنني في أمان. يجب أن نجد مرفأ الآن، إنها مسألة سلامة". وأضاف أنه لم ير "يوما مثل هذا العنف" على متن سفينة.

وأكدت المنظمة أن هذا الوضع هو "نتيجة مباشرة للبقاء طويل الأمد وغير المجدي في البحر".

منظمة "أس.أو.أس مديتيرانيه" عبر صفحتها على تويتر، أخبارا تفيد بأن خمسة مهاجرين عالقين على متن أوشن فاينكغ عبروا عن "نوايا انتحارية".

ويستاء مهاجر سوداني مستكرا "أما فائدة إنقاذنا إن كان هذا مصيرنا".

من جانبه، شارك مهاجر باكستاني رأيه بهذه الحادثة، وقال "لقد خرجنا من جحيم ليبيا وأنقذتنا طواقم أس.أو.أس مديتيرانيه، والآن نحن على قيد الحياة، لكننا عالقون، وسنبقى هنا ليوم واحد أو خمسة أيام، أو حتى 15 يوما. لا نستطيع فعل أي شيء".

واستأنفت عدة منظمات إنسانية عملياتها في المتوسط بداية الأسبوع الماضي، حيث تمكنت سفينة "ماري يونيو" من إنزال العشرات من المهاجرين في صقلية، بينما أطلقت منظمة "سي.وتش" طائرة البحث الخاصة بها "سي.بيرد" لترصد قوارب المهاجرين والإنقاذ التي تحدث في المتوسط.

وقالت منظمة الإغاثة أس.أو.أس المتوسط، التي تستأجر السفينة إنه منذ ذلك الحين "تدهور الوضع على متن السفينة إلى درجة أنه لم يعد من الممكن ضمان سلامة المهاجرين الـ 180 الذين تم إنقاذهم والطاقم".

وتريد المنظمة إنزال المهاجرين "فورا" من السفينة، وقالت الناطقة باسم المنظمة لورانس بوندرا، إنه "نظرا للتوتر الشديد" السائد، أعلنت أوشن فاينكغ أنها "في حالة طوارئ"، في سابقة لسفينة تابعة لـ أس.أو.أس المتوسط التي بدأت عمليات إغاثة منذ أربع سنوات ونصف السنة بسفينة "أكاروس".

سريع، حيث كانا قد ابتعدا لمسافة 100 متر فقط. ثم نقلنا إلى سطح أوشن فاينكغ بعد نحو 45 دقيقة.

يقول الشخص الثالث الذي حاول الإلقاء بنفسه في البحر، وهو مغربي الجنسية، "أفضل أن أموت، وأن تعرف عائلتي بانتي قد مت، على أن أبقى هنا دون أن يعرفوا إن كنت حيا أو ميتا".

ويشير مراسل وكالة الأنباء الفرنسية إلى أن حالة من السخط والقلق الشديد تصيب المهاجرين العالقين لعدم قدرتهم على التواصل مع عائلاتهم، كما نشرت



قلق مستمر

على متنها من جراء اندلاع شجارات بين ركابها ومحاوله بعضهم الانتحار أو تهديد أفراد طاقمها.

وكان رجلاان القيا بنفسهما من على متنها في خطوة يائسة الخميس، حيث أقدم في ساعة الظهر المهاجر الأول على إلقاء نفسه في البحر، وقام آخر باللحاق به، بينما قام المهاجرون المتواجدون على السفينة باعتراض مهاجر ثالث حاول أن يقفز في المياه.

وبعد عدة دقائق من النقاش مع طاقم السفينة، تم إنقاذ المهاجرين عبر زورق

وأضاف أن الفريق الطبي يجري حاليا فحوصات للمهاجرين لتبين ما إذا كانوا مصابين بفيروس كورونا المستجد أم لا، وبتيجة هذه الفحوصات سيتم نقلهم إلى سفينة الحجر الصحي الراسية حاليا في بورتو إمبيدوكلي، على الساحل الجنوبي لصقلية.

أكد المصدر أن السلطات "تراقب الوضع بعناية بهدف نقل المهاجرين اليوم الاثنين إلى السفينة مويي زارا". وكانت السفينة أعلنت الجمعة "حالة الطوارئ" بسبب توترات شديدة سادت

روما - أعلن مصدر في وزارة الداخلية الإيطالية السبت أن السلطات باشرت إجراء فحوصات طبية لـ 180 مهاجرا عالقين على متن السفينة الإنسانية "أو.أس.فاينكغ" التي أنقذتهم أثناء محاولتهم عبور البحر المتوسط، مشيرا إلى أنه عقب الفحوصات سيتم نقل المهاجرين إلى سفينة للحجر الصحي في صقلية.

وأجبر انتشار وباء كورونا في أوروبا على غلق حدودها منذ بداية العام الحالي، وخلال هذه الفترة حاول أكثر من 13 ألف مهاجر عبور البحر المتوسط باتجاه القارة العجوز، بحسب المنظمة الدولية للهجرة.

وبعد توقف قصير بسبب الإغلاق، استأنفت سفن منظمات غير حكومية مثل أوشن فاينكغ نشاطها في المتوسط الشهر الماضي، واستطاعت إنقاذ المئات من المهاجرين من الغرق، والآن تطالب هذه المنظمات دول الاتحاد الأوروبي بفتح موانئها، للسماح لسفنها بالرسو.

وقال لورانس بوندرا، وهو أحد العاملين في جمعية "المتوسط للإنقاذ" وكان على متن سفينة أوشن فاينكغ، إنه يوجد على متن السفينة 180 مهاجرا على قيد الحياة، وقد كانوا جميعا على متن زوارق خشبية متهاكّة ومزدحمة جدا.

وقال مصدر طلب عدم نشر اسمه إن أفراد الطاقم الطبي الذي أرسلته السلطات الإيطالية إلى ميناء بوزالو الصقلي، أكدوا عدم وجود أي مشاكل صحية محدّدة، وأفادوا أيضا، أن التوتّرات التي حصلت على متن السفينة (التابعة لمنظمة إس.أو.أس مديتيرانيه غير الحكومية) أخذت بالانحسار.